الألفاظ الأعجمية في القرآن الكريم
دراسة تاريخية معجمية

عبد الكريم الزبيدي

صنعاء

الفصل الأول: قضية وجود الألفاظ الأعجمية في القرآن الكريم

- ١ -

مما لا شك فيه أن معاجم اللغة العربية تضم عددا من الألفاظ، أسماها اللغويون القدماء والمعاصرون بـ(الألفاظ المعربة) أو (الألفاظ الدخيلة)، وهي الالفاظ التي دخلت في العربية من اللغات الأجنبية.

وقد فرق بعض الباحثين بين (الدخيل) و(المعرب)، فذكروا أن الدخيل هو كل لفظ دخل في العربية، دون أن يطرأ عليه تغيير، وأن المعرب هو كل لفظ دخل في العربية، وقد طرأ عليه تغيير وفق أساليب العربية وأوزانها[١].

وقد اعتمدت اللجنة التي تولت إخراج المعجم الوسيط الفرق بين المعرب والدخيل، فذكرت في مقدمة الطبعة الأولى للمعجم المذكور تفسير الرموز التي استعملتها اللجنة إزاء بعض الألفاظ، فذكرت أن:

(مع) للمعرب، وهو اللفظ الأجنبي الذي غيّره العرب بالنقص أو الزيادة أو القلب.

(د) للدخيل، وهو اللفظ الأجنبي الذي دخل في العربية دون تغيير، كالأكسجين والتلفون (مقدمة المعجم الوسيط: ١٦:١).

وذهب بعض اللغويين والباحثين إلى أن المعرب هو ما دخل في العربية من اللغات الأعجمية، سواء غيرته العرب وألحقته بأبنيتها، أم لم تغيره، وبقي على حاله، وصادف أنه جاء على بناء من أبنية العربية، أم بقي على حاله دون تغيير، وإن لم يأت على بناء من أبنيتهم، ولكنهم غيروا الحرف الذي ليس من حروفهم بحرف من حروفهم، قال سيبويه: "وربما غيروا الحرف الذي ليس من حروفهم، ولم يغيروه عن بنائه في الفارسية، نحو: فرند وجربز"[٢].

---

[١] التعريب في ضوء علم اللغة المعاصر، د. عبد المنعم محمد الحسن الكاروري: ٦٩.

[٢] الكتاب: ٣٠٣:٤ (هذا باب ما أعرب من الأعجمية).

THE ARABIST. BUDAPEST STUDIES IN ARABIC 11–12 (1994)
https://doi.org/10.58513/ARABIST.1994.11-12.5

وقد ذهب الى الرأي المذكور إمام النحويين سيبويه (نفسه: ٤:٣٠٣-٣٠٧)، وصاحب اللسان (عرب: ١:٥٨٩)، وابن أم قاسم المرادي[٣] وابن كمال باشا[٤]، والمرزوقي، وابن سيده، والشهاب الخفاجي، وعبد القادر البغدادي، وابن بري[٥].

فالمعرب عند هؤلاء هو ما دخل في العربية من اللغات الأعجمية، والدخيل كذلك، فهو كل كلمة "أدخلت في كلام العرب، وليست منه، استعملها ابن دريد في الجمهرة" (اللسان: دخل: ١١: ٢٤١)، ولم يفرق صاحب اللسان بين الدخيل والمعرب، فهما عنده بمعنى واحس، قال: "والبقم: شجر يصبغ به، دخيل معرب" (نفسه يقم: ١٢:٥٢)، وقال أيضا في الطارمة: "بيت من خشب كالقبة، وهو دخيل أعجمي معرب" (نفسه: طرم: ١٢: ٣٦١)، وكذلك قال الخفاجي في سطل: "هو دخيل معرب" (شفاء الغليل: ٩٠، ١٤٥).

وأرى أن الألفاظ المعربة هي الألفاظ التي دخلت في العربية من اللغات الأعجمية في عصور الاستشهاد، أو العصور التي تلت ذلك إلى يومنا الحاضر، سواء غيرتها العرب، وألحقتها بأبنيتها، أم لم تغيرها وأبقتها على حالها، وسواء قام بهذا التعريب العرب الخُلَّص في عصور الاستشهاد، أم قام به المولدون من بعد. ويدخل لذلك في المعرب ما عربته المجامع اللغوية في الأقطار العربية من الألفاظ الأعجمية في عصرنا الحاضر. وإذا تقرر ذلك فإني أستعمل في هذا البحث مصطلح (المعرب)، وأريد به الألفاظ التي جاءت في القرآن الكريم، وزعموا أنها من اللغات الأعجمية، دونما فرق بين تغييرها وفق أبنية عربية، أو إبقائها على حالها دون تغيير.

- ٢ -

إن مسألة وجود المعرب في القرآن الكريم تعود أصولها التأريخية إلى عصر التابعين، وهي المرحلة الزمنية التي اختلط فيها العرب بغيرهم من الأعاجم بعد الفتوحات الاسلامية، ودخول كثير من العرب في دين الإسلام.

وفي هذه المرحلة الزمنية بدأت أولى محاولات تفسير القرآن الكريم وأسباب ذلك كثيرة منها:

١) ابتعاد كثير من العرب المسلمين عن موطن الفصاحة في جزيرة العرب، بسبب الفتوحات، واستقرارهم في بلاد الشام ومصر والعراق، وقد بدأ هؤلاء يسألون عن تفسير بعض الألفاظ القرآنية التي كانت معانيها معروفة في عصر نزول القرآن الكريم.

---

[٣] توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: ٥:٢٢٩.

[٤] رسالة في تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية: ٤٤-٤٥.

[٥] المعرب والمولد والدخيل والمحدث، د. شوقي ضيف. (في أصول اللغة: ٣:٣٧٨).

٢) دخول غير العرب في الإسلام، وكان لهذا تأثير من ناحيتين: الأولى في اللغة العربية، حيث دخلت العربية ألفاظ أعجمية، والثانية في العرب الفاتحين الذين بدأت سليقتهم اللغوية تفسد بسبب اختلاطهم بغير العرب.

٣) تطور دلالة بعض الألفاظ في اللغة العربية، بسبب العوامل الاجتماعية والمعاشية الجديدة التي رافقت حركة الفتوحات.

كل هذه الأسباب وغيرها أدت إلى بروز الحاجة إلى تفسير القرآن الكريم ألفاظا وتراكيب، وكانت ولادة علم تفسير القرآن على أيدي التابعين، وبولادة علم التفسير على أيدي التابعين ولِدت على أيديهم أيضا مسألة وجود المعرب في القرآن الكريم، وهذه بعض الأدلة على ذلك:

١) أخرج ابن جرير في تفسيره، عن سعيد بن جبير (تابعي، ت ٩٥هـ) أنه قال: قالت قريش: لولا أنزل هذا القرآن أعجميا وعربيا، فأنزل الله: "لقالوا: لو لا فصلت آياته ء أعجمي وعربي"، فأنزل الله بعد هذه الآية القرآن بكل لسان، فيه: "حجارة من سجيل" فارسية أعربت سِنك وكِل (تفسير الطبري: ٦:١).

٢) أخرج ابن شيبة في المصنف، وابن جرير عن أبي ميسرة، عمرو بن شرحبيل (تابعي توفي في ولاية ابن زياد)، أنه قال: نزل القرآن بكل لسان (المصنف: ٢٦٩:١٠، وتفسير الطبري: ٧:١).

٣) أخرج ابن شيبة عن الضحاك (تابعي ت ١٠٥هـ) أنه قال: نزل القرآن بكل لسان (المصنف: ١٠: ٤٦٩).

٤) أخرج ابن المنذر في تفسيره عن وهب بن منبه (تابعي ت ١١٤هـ) أنه قال: ما من اللغة شيء إلا في القرآن. قيل: وما فيه من الرومية، قال: فصِرْهُنَّ، يقول: قطِّعْهُنَّ (الإتقان للسيوطي: ١٣٩:١).

إن هذه الروايات تبين لنا أن الأصول التأريخية لمسألة المعرب في القرآن الكريم تعود إلى عصر التابعين ومن جاء بعدهم، فمن الذين نُقِل عنهم بوجود ألفاظ أعجمية في القرآن الكريم: رفيع بن مهران، أبو عالية الرياحي (ت سنة ٩٠هـ)، وأبو ميسرة عمرو بن شرحبيل وسعيد بن جبير (ت سنة ٩٥هـ) وعكرمة بن عبد الله البربري (ت سنة ١٠٤هـ) ومجاهد بن جبر (ت سنة ١٠٤هـ) والضحاك (ت سنة ١٠٥هـ) وميمون بن مهران (ت ١١٠هـ) ووهب بن منبه(ت ١١٤هـ) وكعب بن ماتع، من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر، والسُّدي إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٤٠هـ) وغيرهم من التابعين.

إلى هؤلاء يرجع القول بوجود الأعجمي في القرآن الكريم، وهم مصادره الأولى التي اعتمد عليها المفسرون والمحدثون في القول بهذه المسألة، فمن المحدثين والمفسرين الذين نقلوا عن التابعين القول بوجود ألفاظ أعجمية في القرآن: ابن أبي شيبة في المصنف، والفريابي محمد بن يوسف (ت ٢١٢هـ) في مسنده، وعبد بن حُميد الكِسّي (ت ٢٤٩ هـ) وابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) في تفسيره، وابن المنذر محمد بن إبراهيم

النيسابوري (ت ٣١٩هـ) في تفسيره، وابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ) في تفسيره، وأبو الشيخ بن حيان الأصبهاني (ت سنة ٣٦٩هـ) في تفسيره، وابن جني (ت ٣٩٢هـ) في المحتسب، وشيذلة عُزيزي بن عبد الملك (ت ٣٩٤هـ)، في البرهان في عيون علوم القرآن، والحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) في المستدرك ، وابن مردويه أحمد بن موسى (ت ٤١٠هـ) في تفسيره، والبيهقي، أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ) في سننه، والكرماني، محمود بن حمزة (ت ٥٥٥هـ) في تفسيره: العجائب والغرائب، وابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) في "فنون الأفنان في عيون علوم القرآن"، والسيوطي (ت ٩١١هـ) في تفسيره (الدر المنثور) وفي (الاتقان فى علوم القرآن).

واعتمد اللغويون على التابعين في القول بوجود ألفاظ أعجمية في القرآن الكريم، فذكروا في مصنفاتهم اللغوية الألفاظ نفسها التي وردت الرواية فيها عن التابعين، فمن أصحاب المعاجم الأزهري (ت ٣٧١هـ) في التهذيب، والجوهري (ت ٣٩٨هـ) في الصحاح، وابن منظور (ت ٧١١هـ) في اللسان، والفيروزأبادي (ت ٨١٧هـ) في القاموس المحيط.

والذين ألفوا في اللغة ومعاني القرآن والقراءات اعتمدوا كذلك على التابعين في القول بأعجمية بعض الألفاظ الواردة في القرآن الكريم، ومن هؤلاء الفراء (ت ٢٠٧هـ) في معاني القرآن، وأبو حاتم اللغوي (ت ٣٢٢هـ) في الزينة، وابن قتيبة (ت ٣٢٧هـ) في تفسير غريب القرآن، وابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) في "ليس في كلام العرب"، وابن جني (ت ٣٩٢ هـ) في المحتسب، والثعالبي (ت ٤٢٩هـ) في فقه اللغة، والراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) في المفردات، وعلم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ) في "سفر السعادة وسفير الإفادة"، وغيرهم.

والذين صنفوا معاجم المعرب اعتمدوا أيضا على التابعين، وعلى من نقل عنهم من المفسرين والمحدثين واللغويين، في القول بأعجمية بعض الألفاظ في القرآن، ومن هؤلاء الجواليقي (ت ٥٤٠هـ) في المعرب، والسيوطي (ت ٩١١هـ) في المهذب والمتوكلي.

ومن الذين قالوا بوجود ألفاظ أعجمية في القرآن الكريم، في عصرنا الحاضر أدي شير في معجم الألفاظ الفارسية المعربة، وفرنكل في الألفاظ الآرامية في اللغة العربية، وبرجستراسر في التطور النحوي، والدكتور رمضان عبد التواب في فصول في فقه العربية، والدكتور عبد الصبور شاهين في القراءات القرآنية، والدكتور أميل بديع يعقوب في فقه اللغة العربية وخصائصها، والدكتور عبد المنعم محمد الحسن الكاروري في التعريب في ضوء علم اللغة المعاصر، وغيرهم.

والإثبات أن القول بوجود ألفاظ أعجمية في القرآن الكريم يعود في أصوله التاريخية إلى التابعين، ومن روي عنهم من المفسرين والمحدثين، أسوق بعض الأمثلة، على سبيل الاستشهاد وليس على سبيل الاستقراء:

١) أخرج ابن أبي حاتم عن رفيع بن مهران، في قوله تعالى: "فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام"، قال: "شطر": تلقاء بلسان الحبش (الدر المنثور: ١:١٤٧ والمتوكلي: ٤٠).

٢) أخرج عبد الحميد، عن عكرمة، قال: "الجِبْت": الشيطان بلسان الحبش (الدر المنثور: ١٧٢:٢ وتفسير الطبري: ١٣٢:٥)، وكذلك أخرج الطبري، عن سعيد بن جبير، قال: الجبت، الساحر بلسان الحبشة (تفسير الطبري: ١٣٢:٥).

٣) أخرج وكيع، والطبري، وأبو الشيخ، عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل، قال: "الأوّاه": الرحيم بلحن الحبشة (تفسير الطبري: ٤٩:١١ والدر المنثور: ٢٩٥:٣).

٤) أخرج ابن أبي حاتم، عن الضحاك، قال: الاستبرق: الديباج الغليظ بالفارسية (الدر المنثور: ٢٢١:٤ والمتوكلي: ٦٨).

٥) أخرج الفريابي، عن مجاهد، قال: سجيل بالفارسية: أولها حجارة وآخرها طين (الدر المنثور: ٣٤٥:٣ والمتوكلي: ٧٠).

٦) أخرج ابن المنذر عن وهب بن منبه، في قوله تعالى: فصرهن، قال: فقطعهن، بالرومية (الدر المنثور: ٣٣٥:١ والمتوكلي: ٩٢).

٧) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس، في قوله تعالى: كطيِّ السجلّ للكتب، قال: السجل بلغة الحبشة: الرجل (الدر المنثور: ٣٤٠:٤ المعرب: ٢٤٢).

٨) أخرج ابن أبي حاتم، عن مجاهد، وسعيد بن جبير، قال: الفردوس: الجنة بلسان الرومية (الدر المنثور: ٢٥٤:٤ وتفسير الطبري: ٣٦:١٦-٣٧).

٩) أخرج الطبري عن مجاهد، في قوله تعالى: قد جعل ربك تحتك سَرِيًّا، نهرا بالسريانية (الدر المنثور: ٢٦٨:٤ وتفسير الطبري: ٧٥:١٦).

١٠) أخرج ابن المنذر عن كعب بن ماتع، قال: الفردوس: جنات الأعناب بالسريانية (الدر المنثور: ٢٥٤:٤ والمتوكلي: ١٠٦).

١١) أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك، قال: طور سيناء: الحسن بالنبطية (الدر المنثور: ٨:٥).

١٢) جاء في لسان العرب: وقيل: طَوبى في قوله تعالى: طوبى لهم: اسم الجنة بالهندية. وروي عن سعيد بن جبير أنه قال: طوبى: اسم الجنة بالحبشية (لسان العرب: طيب ٥٦٤:١).

١٣) جاء في لسان العرب: الليث، في تفسير طه: أنها بالحبشية يا رجل. وقال قتادة "طه" بالسريانية: يا رجل، وقال سعيد بن جبير وعكرمة: هي بالنبطية (اللسان: طهطه ٥١٢:١٣).

١٤) جاء في اللسان: والفردوس، حديقة في الجنة. قال الزجاج: روي أن الله عزّ وجلّ جعل لكل امرئ في الجنة بيتا. والفردوس أصله رومي عُرِّب، وهو البستان كذا جاء في التفسير (اللسان: فردوس ١٦٣:٦).

١٥) نقل صاحب اللسان عن الزجاجي خمسة أقوال في "الرقيم": أحدها عن ابن عباس: أنه: لوح كتب فضه أسماؤهم، الثاني: الدواة بلغة الروم عن مجاهد (نفسه: رقم ٢٤٨:١٢).

١٦) نقل صاحب اللسان عن السدي في القنطار أنه في السريانية ملء مَسْكِ ثور ذهبا أو فضة (نفسه: قنطر: ١١٨:٥).

١٧) جاء في القاموس المحيط: "الفردوس - بالكسر - الأودية التي تنبت ضروبا من النبت والبستان عربية، أو رومية، أو سريانية" (القاموس المحيط: فردوس ٢٣٦:٢).

١٨) جاء في القاموس المحيط: السجل، لكتاب العهد ونحوه، وهو أيضا الكاتب والرجل بالحبشية وسِجِّيل كسكيت: حجارة كالمدر، معرب سنك وكل (نفسه: سجل ٣٩٤:٣).

١٩) جاء في المعرب للجواليقي: وقوله: كطي السجل للكتب، قيل: السِّجِلّ بلغة الحبشة: الرجل، وقيل: كاتب للنبي عليه السلام (المعرب: ٢٤٢).

٢٠) جاء في المعرب للجواليقي: قال ابن قتيبة: السجيل بالفارسية سنك وكل أي حجر وطين (نفسه: ٢٢٩). وهذا قول المفسرين نقله عنهم ابن قتيبة (تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ٢٠٧).

٢١) جاء في معاني القرآن للفراء: "حدثني أبو الأحوص، عن سعيد بن مسروق أبي سفيان الثوري، عن عكرمة، قال: قيل له: القسورة، الأسد بلسان الحبشة" (معاني القرآن: ٢٠٦:٣).

٢٢) جاء في معاني القرآن للفراء، عن "الفردوس": قال الكلبي: هو البستان بلغة الروم. قال الفراء: وهو عربي أيضا، العرب تسمي البستان: الفردوس (نفسه: ٢٣١:٢).

٢٣) جاء في كتاب الزينة لأبي حاتم الرازي اللغوي، عن سعيد بن جبير وعكرمة وعطاء، أن "الصراط": الطريق بلغة الروم (الزينة: ٢١٥:١).

٢٤) جاء في تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: الاستبرق ثخين الديباج، ويقول قوم: فارسي معرب أصله استبره وهو الشديد (تفسير غريب القرآن: ٢٦٧).

٢٥) جاء في المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، في "جهنم": قيل أصلها فارسي معرب وهو جهنام (المفردات: ١٠٢).

٢٦) جاء في المفردات في غريب القرآن في "رباني": وقيل: رباني: لفظ في الأصل سرياني (نفسه: ١٨٤).

٢٧) جاء في المحتسب لابن جني: "السجل: الكتاب، ويقال: هو كتاب العهد، ونحوها. وقال قوم: هو فارسي معرب، وأنكر ذلك أصحابنا" (المحتسب: ٦٨:٢-٦٧).

٢٨) جاء في سفر السعادة وسفير الإفادة لعلم الدين السخاوي في "الفردوس": يقال: رومي، وقيل: سرياني، وهو عند الفراء عربي (سفر السعادة: ٤١٥:١).

فهذا القدر من الأمثلة كاف لإثبات أن المفسرين والمحدثين واللغويين اعتمدوا على التابعين في القول بوجود ألفاظ أعجمية في القرآن الكريم.

ويقف في الطرف الآخر من هذه المسألة نفر من الفقهاء واللغويين، لم يحفلوا بما روي عن التابعين من وجود ألفاظ أعجمية في القرآن الكريم، ويُعد الإمام الشافعي (ت

٢٠٤هـ) على رأسهم، فقد نفى بشدة في "رسالته" وقوع الأعجمي في القرآن، وحمل على القائلين بوقوعه، وقرر بإصرار أنه "ليس من كتاب الله شيء إلا بلسان العرب" (الرسالة: ٤٢)، وأن اشتعالى قد أقام حجته بأنه كتاب عربي، ثم أكد ذلك بأن نفى عنه كل لسان غير لسان العرب في آيتين من كتابه، فقال تبارك وتعالى:

{ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يُعلّمه بشر، لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين} (النحل: آية ١٠٣). وقال: {ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فُصِّلت آياته ءأعجمي وعربي} (فصلت: آية ٤٤).

وحمل لواء هذا الاتجاه أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ) الذي شدد النكير على من ادعى أن في القرآن من غير العربية، وقال: إن من زعم أن في القرآن من غير العربية فقد أعظم القول، ومن زعم أن (كذا) بالنبطية فقد أكبر القول[٦].

ومن السائرين في هذا الاتجاه ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) (الصاحبي: ٢٩-٣٠) والقاضي أبو بكر الباقلاني (من علماء القرن الرابع) (إعجاز القرآن: ١٨)، والإمام الرازي (ت ٦٠٦هـ) وابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، وغيرهم.

وقد سلك أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) طريقا وسطا بين القائلين بوجود الأعجمي وبين الرافضين له، لأنه وجد أن القول بوجود ألفاظ أعجمية في القرآن يعود إلى رواية المفسرين والمحدثين عن التابعين، وهؤلاء في نظره لا يجوز الطعن فيهم، وفيما روي عنهم، ولا يجوز نسبة الجهل اليهم، فذهب إلى أن ما روي أن التابعين صحيح، وأن ما ذهب اليه أبو عبيدة صحيح أيضا، وذلك أن هؤلاء – يعني التابعين ومن روي عنهم من المفسرين وغيرهم – أعلم بالتأويل من أبي عبيدة، ولكنهم ذهبوا الى مذهب، وذهب هذا الى غيره، وكلاهما مصيب إن شاء الله. وذلك في أن هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل، فقال أولائك على الأصل، ثم لفظت به العرب بألسنتها فعربته، فصار عربيا بتعريبها إياه، فهي عربية في هذه الحال، أعجمية في الأصل (المعرب: ٥٣).

فقول أبي عبيد دفاع عن علماء الإسلام الذين وردت الرواية عنهم بوجود الأعجمي في القرآن الكريم، وذلك "لئلا يقوم أحد على الفقهاء فينسبهم الى الجهل، ويتوهم عليهم أنهم قدموا على كتاب الله جل ثناؤه، بغير ما أراده الله جل وعز، وهم كانوا أعلم بالتأويل، وأشد تعظيما للقرآن" (الصاحبي: ٢٩).

– ٣ –

جمع السيوطي (٩١١هـ) الألفاظ التي وردت الرواية فيها عن التابعين، وذكروا أنها وقعت في القرآن الكريم من اللغات الأعجمية في كتابين هما كتاب المهذب وكتاب

---

[٦] الصاحبي لابن فارس: ٥٩ والمعرب للجواليقي: ٥٢ والإتقان: ١:١٣٥.

المتوكلي[٧]. وكان قد اعتمد في هذا الجمع على كتب التفسير والقراءات وعلوم القرآن والحديث وكتب اللغة وفقهها، وأسند الرواية في كل لفظة الى المصدر الذي نقلت عنه.

وسأذكر في الجدول التالي جميع الألفاظ التي وردت الرواية بعجمتها، ووقعت في القرآن الكريم، معتمدا في ذلك على كتابي المهذب والمتوكلي للسيوطي، ذاكرا اللغة التي تنتمي إليها والمجموعة اللغوية التي تنتمي إليها تلك اللغة وموضع ورود كل لفظة في القرآن الكريم.

(ضيق المساحة المخصصة للنشر وطول قائمة الألفاظ (حوالي ١٥٠) ومعانيها الخ. اقتصرت هيئة التحرير على الاختصار ونشر نواة البحث بدون دلالات والقليل من الأمثلة).

ويتبين مما سبق أن اللغات الأعجمية التي قيل إن ألفاظا منها وردت في القرآن الكريم هي: اللغة الحبشية، اللغة الفارسية، اللغة الرومية، اللغة الهندية، اللغة السريانية، اللغة العبرية، اللغة النبطية، اللغة القبطية، اللغة التركية، اللغة الزنجية، اللغة البربرية.

وإذا أردنا أن نحدد انتماء اللغات المذكورة الى المجموعات اللغوية المعروفة نجد أنها تنتمي الى أربع مجموعات لغوية، هي: المجموعة الأولي: مجموعة اللغات السامية، وأطلقت عليها في هذا البحث: لغات شعوب الجزيرة العربية، وتدخل في هذه المجموعة، اللغات الأتية: اللغة الحبشية، اللغة العبرية، اللغة السريانية، اللغة النبطية. المجموعة الثانية: مجموعة اللغات الهندية الأوربية، وتدخل في هذه المجموعة اللغات الأتية: اللغة الفارسية، اللغة الرومية، اللغة الهندية. المجموعة الثالثة: مجموعة اللغات الحامية، وتدخل في هذه المجموعة اللغات الأتية: اللغة القبطية، اللغة الزنجية، اللغة البربرية. المجموعة الرابعة: مجموعة اللغات الطورانية، وتدخل في هذه المجموعة لغة واحدة هي: اللغة التركية.

هذا وهناك بعض الألفاظ لم يذكروا لها أصلا في لغة من اللغات السابقة مثل: (سَنَا) قالوا: إنها أعجمية[٨]. ولا بد أن أشير الى ملاحظة بعد عرض تلك الألفاظ، هي أن بعضها جعلوا لها أصلا في أكثر من لغة من اللغات المذكورة مثل: (ابلعي) ذكروها فيما عُرِّب عن الحبشية مرة وعن الهندية أخري. و(أسفار) معربة عن السريانيةوالنبطية، و(الأليم) معربة عن العبرية والزنجية، و(أواه) معربة عن الحبشية والعبرية، و(رهوا) معربة عن السريانية والنبطية، و(سريا) معربة عن السريانية والنبطية، و(صرهن) معربة عن الرومية والنبطية، و(طه) معربة عن الحبشيةوالسريانية والنبطية، و(الطور) دخلت القرآن من السريانية والنبطية، و(عدن) دخلت القرآن من الرومية والسريانية، و(الفردوس) معربة عن الرومية والسريانية، و(قنطار) ذكجروا أنها دخلت القرآن من الرومية مرة، ومن السريانية: خرى ومن البربرية مرة ثالثة، و(كفر) قالوا معربة عن العبرانية والنبطية،

---

[٧] صدر كتاب المتوكلي بتحقيق عن دار البلاغة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٨م.

[٨] الدور: ٤٣ .انظر: المهذب للسيوطي: تحقيق الدكتور إبراهيم أبو سكين: ٥٩.

و(كفلين) عن الحبشية والنبطية، و(متكأ) ذكروا أنها جاءت الى القرآن من الحبشية مرة ومن القبطية أخرى، و(مقاليد) عن الفارسية والنبطية، و(منسأة) عن الحبشية مرة والزنجية أخرى، و(هونا) عن السريانية مرة والعبرية أخرى، و(اليم) عن السريانية مرة والعبرية أخرى والنبطية ثالثة.

ويلاحظ أيضا أن اللفظة الواحدة قد تنتمي الى لغتين أو أكثر، ينتمي كل منها الى مجموعة لغوية لا تمت بصلة الى الأخرى، فمثلا ذكروا أن إبلعي جاءت الى القرآن من الحبشية، وهي من لغات المجموعة السامية، وذكروا أيضا أنها من الهندية وهي من مجموعة اللغات الهندية الأوربية. وذكروا أن الأليم جاءت الى القرآن من العبرية، وهي من لغات المجموعة السامية، وذكروا أيضا أنها من الزنجية، وهي من مجموعة اللغات الحامية. وذكروا أن صرهن جاءت من الرومية وهي من لغات المجموعة الهندية الأوربية، وذكروا أيضا أنها من النبطية وهي من لغات المجموعة السامية. وذكروا أن القنطار جاءت الى القرآن من الرومية، وهي من لغات المجموعة الهندية الأوربية، وذكروا أيضا أنها من السريانية وهي من لغات المجموعة السامية، وذكروا أيضا أنها من البربرية وهي من لغات المجموعة الحامية. وذكروا أن مقاليد جاءت من الفارسية وذكروا أنها من النبطية.

وفي ضوء ما ذكرته سابقا تبرز ملاحظات، تفرض نفسها على البحث، أهمها:

١) إن أصل مسألة وجود الألفاظ الأعجمية في القرآن الكريم يعود الى التابعين.

٢) لم يُسْنَد القول بأعجمية هذه الألفاظ الى رسول الله(ص)، ولا الى أحد من أهل بيته مثل الإمام علي، أو أحد أبنائه، أو غيرهم من أهل بيت الرسول، ولا الى أحد من الصحابة المعروفين، كأبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم، فقد كان هؤلاء – وخاصة عترة النبي – أعلم الناس بألفاظ القرآن الكريم.

٣) إن الذين وردت عنهم الرواية بوجود ألفاظ أعجمية في القرآن الكريم، من التابعين، لا يمكن الاطمئنان اليهم في الحكم على عربية لفظة أو أعجميتها، لأنهم لم يكونوا أهل اختصاص، كما أن بضاعتهم في اللغات قليلة، بدليل أنهم قد ينسبون اللفظة الواحدة الى لغتين أو أكثر، ليس بينها أواصر لغوية.

٤) إن هؤلاء التابعين الذين وردت الرواية عنهم بوجود الأعجمي في القرآن، كانوا يرسلون أقوالهم إرسالا دون تثبت ودون اعتماد على منهج علمي في دراسة اللغات، أضف الى ذلك أن طعونا قد وجهت الى بعضهم في كتب الرجال، فعكرمة قد كثر الطعن فيه بأنه كذاب، غير ثقة، وقيل للأعمش: ما بال تفسير مجاهد مخالف، قال: أخذه من أهل الكتاب. وأما عطاء، فقد قال أحمد فيه: ليس في المراسيل أضعف من مراسيل الحسن وعطاء. وأما الضحاك، فقد قال يحيى بن سعيد فيه: الضحاك ضعيف عندنا، وكان يروي عن ابن عباس، وقد أنكر ملاقاته له. وأما قتادة، فقد ذكروا أنه مدلس، وأما مقاتل، فقد قال في وكيع: كان كذابا، وقال ابن حيان: كان مقاتل يأخذ من اليهود والنصارى من علم القرآن ما يوافق كتبهم.

٥) إن بعض هؤلاء التابعين كانوا على معرفة بكتب أهل الكتاب كالتوراة والإنجيل، ومن هؤلاء كعب بن ماتع، كان يهوديا من يهود اليمن، ووهب بن منبه، ومقاتل، فإذا وغد أحدهم لفظة في التوراة أو الإنجيل، توافق لفظة في القرآن الكريم، قالوا إن اللفظة القرآنية سريانية أو عبرية أو نبطية أو رومية.

٦) إن المقاييس التي اعتمد عليها اللغويون في الحكم على أعجمية اللفظ أو عربيته قاصرة، ولا يمكن الاطمئنان إليها، فقولهم: تُعرف أعجمية اللفظ بالنقل عن أحد أئمة العربية (المزهر للسيوطي: ١-٢٧٠). هو قول لا يمكن قبوله، لأن بعض هؤلاء الأئمة اعتمد في ذلك على ما روى عن التابعين. وقولهم: لا تجتمع في كلمة عربية حروف معلومة، فإذا اجتمعت في كلمة دل ذلك على عجمتها، مثل الجيم والقاف، في: الجرموق والجوالق، والجيم والصاد في: الجص والصولجان، والجيم والكاف في: الكرج والكوسج، والزاي بعد الدال، في: مهندز الى أخر ذلك، فهذا القول لا يمكن الاعتماد عليه أيضا لورود كلمات عربية اجتمعت فيها الحروف المذكورة مثل: الصمج للقنديل (اللسان: صمج ٢: ٣١١)، وقالوا: جصص الجرو، إذا فتح عينيه (نفسه: جصص: ٧:١٥)، وقالوا إن الجيم والقاف اجتمعتا عند العرب في بعض الكلمات عدوها خمسا أو ستا (المزهر: ١:٢٧٢). وقولهم: يعرف الاسم الأعجمي بخروجه عن أوزان الأسماء العربية لا يمكن الاعتماد عليه أيضا، لورود ألفاظ عربية على غير أوزان العربية، فهذا ابن خالويه يذكر في كتابه "ليس في كلام العرب" أن ليس في كلام العرب كذا، ثم يستثني بقوله: إلا ثلاثة ألفاظ أو أربعة الخ، وأيضا فإن كثيرا من الأعجمي قد وافق الأوزان العربية، وأيضا فإن قصور اللغويين عن الإحاطة بجميع أوزان العربية يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار، هذا الى جانب احتمال موت كثير من الأوزان العربية نتيجة تطور العربية في تاريخها الطويل.

الفصل الثاني: مناقشة وجود الألفاظ الأعجمية في القرآن الكريم

- ١ -

إن المقياس الذي أعتمدُهُ في مناقشة وجود الألفاظ الأعجمية في القرآن الكريم يقوم على الأسس التالية:

١) اعتبار اللغة العربية وأخواتها من اللغات السامية الأخرى لغات يجمعها أصل واحد، وينبغي أن يتم إثبات ذلك بالدراسة التأريخية.

٢) الأخذ بنظر الاعتبار التطور الدلالي والصوتي لألفاظ اللغة الأم في اللغة العربية، لأنها اللغة التي كُتِبَ لها البقاء من بين اللغات الأخرى.

٣) الأخذ بنظر الاعتبار تغيير البنية الصرفية لألفاظ اللغة الأم، ليلائم التطور الدلالي لألفاظ اللغة الأم في العربية.

٤) دراسة اللغات الأخرى التي قيل: إن ألفاظا منها وقعت في القرآن الكريم، فإذا ثبت وجود علاقة بين إحدى تلك اللغات وبين اللغات السامية، فينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار في الحكم على أعجمية اللفظ أو عربيته.

٥) دراسة الألفاظ دراسة معجمية مستفيضة، مع الأخذ بعين الاعتبار في الحكم على عربية اللفظ وجود أصل مادته في المعجم العربي، مع وجود تصريفات واشتقاقات كثيرة لهذا الأصل في المعجم العربي، في الوقت الذي لا يوجد للفظ تلك التصريفات والاشتقاقات في اللغة الأعجمية، أو كان أصل اللفظ في اللغات الأعجمية مجهولا لدينا.

٦) الأخذ بعين الاعتبار في الحكم على عربية اللفظ اشتقاقه من أصل يعد من تراث لغات شعوب الجزيرة العربية، وعلاقة هذا الاشتقاق بحياة العرب ولغتهم.

٧) الأخذ بعين الاعتبار في الحكم على عربية اللفظ إذا كان موجودا في لغة أعجمية، وجوده في إحدى لغات شعوب الجزيرة العربية (اللغات السامية)، مع وجود مادته في المعجم العربي، مع كثرة تصريفاتها واشتقاقاتها.

٨) الأخذ بعين الاعتبار ما يدخل على اللفظ - أثناء رحلته التاريخية في لغة العرب - من تطور صوتي، يعد من سمات العربية وأخواتها من لغات شعوب الجزيرة العربية، كالإعلال والإبدال والقلب والزيادة والحذف، والمخالفة بين الصوتين المتماثلين، وكراهة توالي أكثر من ثلاثة متحركات، وإطالة الحركات وإشباعها لتتولد منها حركات طويلة، وغير ذلك.

٩) الأخذ بعين الاعتبار أن ألفاظا من لغات شعوب الجزيرة العربية قد هاجرت منها الى اللغات الأخرى، وماتت في لغات شعوب الجزيرة العربية، أو تطورت دلالتها حتى صار اللفظ منها يستعمل للدلالة على معنى جديد، ولكنها ظهرت في اللغات الأخرى بدلالتها القديمة، فإذا لم يقف علماء اللغة على وجود مادة لبعض الألفاظ في المعجم العربي، فليس هذا مسوغا للحكم بعجميتها، فقد يكون اللفظ من الألفاظ الميتة، كما أقر بذلك علماء اللغة من العرب، كالخليل الفراهيدي، وقديما قال الإمام الشافعي: "ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبا، وأكثرها ألفاظا ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي" (الرسالة: ٤١-٤٢).

١٠) القول بوجود اللفظ الأعجمي في القرآن الكريم من دون إخضاعه للدراسة التاريخية والمعجمية، وتطبيق المقاييس المذكورة عليه، يعد قولا مجانبا للحقيقة، لأنه إقرار بوجود الأعجمي في القرآن الكريم ابتداء، وهو مرفوض.

- ٢ -

من الثابت تأريخيا أنه قد حصلت هجرات موغلة في القدم لأقوام كانت تعيش في جزيرة العرب، وكانت أول هجرة لتلك الأقوام إلى بلاد الشام، ووادي الرافدين، قبل تسعة آلاف سنة، قبل الميلاد، كما دلت على ذلك التحريات الأثارية في كل من سوريا والعراق

(حضارة وادي الرافدين: ٤٥-٥٧). وعبرت أقوام أخرى البحر الأحمر، واستقروا في إفريقيا في حقبة سحيقة من الزمن، إذ عبرت قبيلة "حبشت" البحر الأحمر، قادمة من جنوب الجزيرة إلى سواحل أرتيريا، ثم توغلت الى المرتفعات الجبلية، لتصبح فيما بعد إحدى القبائل التي أسهمت في تأسيس مملكة أكسوم (تاريخ أرتيريا: ٢٠).

وعبرت أقوام أخرى البحر الأحمر قادمة من اليمن، عرفوا بالأجعَازي أو أجعازيان، وانتشروا في بلاد الحبشة والسودان وأرتيريا (نفسه: ٢٠) عبر كثير من الحميريين مضيق باب المندب في القرنين السابقين للميلاد، فاستقر بعضهم في الحبشة، وتحرك بعضهم الأخر متبعا النيل الأزرق، ونهر عطبرة ليصلوا الى بلاد النوبة[٩].

ومن الثابت تاريخيا أيضا أن أقواما لم تهاجر عن جزيرة العرب، بل بقيت في وطنها الأصلي، ولزمته على الرغم من قسوة الجفاف، ووقد عرف هؤلاء الأقوام فيما بعد بـ"العرب". جاء في لسان العرب: قال الأزهري: والأقرب عندي أنهم سموا عربا باسم بلدهم (العربات)، وقال إسحاق بن الفَرَج: عربة: باحة العرب وانتشر سائر العرب في جزيرتها، فنسبوا كلهم الى عربة (اللسان: عرب: ١:٥٨٧-٥٨٨).

إن لفظة عربة أو العربات قديمة في لغات شعوب الجزيرة العربية، فقد وردت اللفظة في النصوص الأشورية، وفي الكتابات البابلية، باسم أرض العرب، وجاءت في الكتابات العبرية بمعنى البادية، وكذلك وردت في الكتابات الفارسية من عهد دارا الكبير، بلفظ أربابة[١٠].

إن الأقوام الذين لزموا وطنهم الأصلي في جزيرة العرب، والذين عرفوا بالعرب في حقبة زمنية متأخرة كانوا يشتركون مع الأقوام الذين هاجروا عن جزيرة العرب في لغة واحدة، هي اللغة الأم لتلك الشعوب (اللغة السامية الأم)، وقد بقيت أصول هذه اللغة في جزيرة العرب، فتعاهدها الأقوام الذين استوطنوا العربة أو العربات بالرعاية والتهذيب، وألبسوها من حلل أرضهم أجملها، حتى بدت شابة رائعة الحسن والجمال، وأسموها بالعربية. أما الأقوام الذين هاجروا عن جزيرة العرب وتفرقوا في بلاد الرافدين والشام وأفريقيا، فقد بعدت المسافة في المكان والزمان بينهم وبين لغتهم الأم، فتباعدت لهجاتهم، وتعددت أسماؤهم.

---

[٩] بعض مظاهر العلاقات بين الجزيرة العربية وأوطان البجة: ٣٩٧.

[١٠] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ١:١٦-١٨.

- ٣ -

من اللغات التي زعموا أنها أعجمية وزعموا أن ألفاظا عُرِّبت منها، ووقعت في القرآن الكريم: اللغة السريانية، وهي إحدى لهجات الأرامية، والأرامية إحدى لهجات اللغة الأم لشعوب الجزيرة العربية، والأراميون أقوام هاجروا من جزيرة العرب بين الألف التاسعة والثالثة قبل الميلاد، إلى بلاد الشام والعراق، وقد دلت أعمال التنقيب على أن أقدم استيطان لهم في ضفاف نهر الفرات، في بادية الشام والعراق، يعود الى الألف التاسعة قبل الميلاد (حضارة وادي الرافدين: ٦٦).

يقول أهل الأخبار: إنهم سموا بالأراميين نسبة إلى إرم بن سام بن نوح (المفصل: ٢٩٦:١) وقيل: إنهم سموا بذلك نسبة الى عاد إرم، التي ورد ذكرها في القرآن الكريم (سورة الفجر: آية ٧). وبدا لي أن أَرَم بفتح الهمزة والراء، وإرَم بكسر الهمزة وفتح الراء، وأرْم بفتح الهمزة وسكون الراء، اسم لقبائل في جزيرة العرب، اجتمعت وتوحدت في كيان قوي، وأسست مملكة ورد ذكرها في القرآن الكريم، في قوله تعالى: {ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرَمَ ذات العماد}، قال الكعبري: "وإرم، لا ينصرف للتعريف والتأنيث، قيل: هو اسم قبيلة، فعلى هذا يكون التقدير: إرم صاحبة ذات العماد، لأن ذات العماد مدينة ويقرأ: بعاد إرم بالإضافة، فلا يحتاج إلى تقدير" (إملاء: ٢٨٦:٢).

وقد هاجرت جماعات من هذه القبائل نحو بلاد الشام والعراق، وهم يحملون اسمهم أرم، وأقام جماعات منهم مملكة حوالي سنة ٢٤١٦ ق.م. عرفت بالدولة البابلية الأولى (العرب قبل الاسلام: ٥٩- ٦٠)، وفي حوالي القرن الحادي عشر قبل الميلاد أقامت جماعات منهم مملكة في أعالي الفرات امتدت على ضفتي النهر، أسموها بيت آديني، أي مملكة عاد، لأن الهمزة في النقوش المسمارية القديمة تقابل العين في لغات شعوب الجزيرة العربية، ولعل في هذا إشارة إلى أصلهم المنحدر من عاد إرم.

إن الأراميين حملوا معهم اللغة الأم لشعوب الجزيرة العربية فعرفت بالأرامية، ولكنها تفرعت إلى لهجات عديدة يحمل كل منها خصائص اللغة الأصل[١١]، والسريانية واحدة من تلك اللهجات أو هي "امتداد للغة الأرامية في العصر المسيحي، حيث كانت في بادئ امرها تسمى بالأرامية، والمتكلمون بالأراميين" (السريانية، نحوها وصرفها: ٩).

وفي ضوء هذا التقديم لا يصح أن تكون اللغة السريانية لغة أعجمية بالنسبة إلى اللغة العربية.

والنبطية كذلك إحدى لهجات الأرامية، تكلم بها قوم عرفوا بالنبط، أو الأنباط أو النبيط، وسكنوا مدينة سلع (البتراء) في بادية شرق الأردن وسيناء، وفي بُصرى بإقليم

---

[١١] الساميون ولغاتهم: ١٠٠-١٢٣ والمدخل الى تاريخ اللغات الجزرية: ٢٨-٣٨.

حوران في جنوب سوريا. وانتشروا في شمال الجزيرة العربية، وفي مدائن صالح والعلا، وكانوا سادة التجارة بين جزيرة العرب والبحر الأبيض المتوسط (الساميون: ١١٣).

والنبطية قريبة الشبه بالعربية، فقد كان الأنباط يستعملون الإعراب في لغتهم، كالواو والضمة للرفع، والياء والكسرة للجر والفتحة للنصب، واستعملوا كلمة (أل) و(بنو) للنسبة إلى القبيلة، ويستخدمون الألف في نهاية الاسم أداة للتعريف، مثل (نفشا) أي النفس، و(ملكا) أي الملك، ويتم التصغير عندهم على وزن فُعَيْل، وفُعَيلت، ويستخدمون الضمائر المنفصلة والمتصلة، مثل: هي و هو، ومن المتصلة: اقلهاء للغائب، و(نا) لجماعة المتكلمين، ومن أسماء الإشارة عندهم (ده) و(دا)، ومن الأسماء الموصولة: (دي) و(مَنْ) ومن حروف الجر عندهم: اللام و(عل) أي (على) واستعملوا الواو للعطف. وأغلب أسمائهم عربية مثل: (خلد) أي خالد، و(لطف) و(حسن) و(أمت اللات) و(عقرب). ووردت في نقوشهم عبارات عربية سليمة التركيب، مثل: ملك العرب كلها[١٢]. وفي ضوء ما تقدم لا يصح أن تكون اللغة النبطية لغة أعجمية بالنسبة الى اللغة العربية.

والعبرية تمثل أهم لهجات الكنعانية[١٣] وتلتقي الكنعانية مع الأرامية في كونهما ينتميان الى قسم واحد، هو القسم الشمالي الغربي في تقسيم اللغات السامية من حيث القرابة اللغوية (تاريخ العرب: ٥٥)، فاللهجة الأرامية المستعملة في كتابات (كلمو) و (بر ركب) قريبة جدا من الكنعانية، ويقوي الاعتقاد بوجود الصلة بين العبرية والأرامية ما جاء في التوراة (سفر التثنية ٥/٢٦) على لسان موسي – عليه السلام – "كان أبي أراميا تائها" فالعبرية إحدى اللغات المهمة المتفرعة عن اللغة الأم لشعوب الجزيرة العربية، فلا يصح أن تكون أعجمية بالنسبة إلى اللغة العربية.

وتعد الجعزية أهم لهجات الحبشية، والجعزية "نسبة الى قبيلة جعز العربية الجنوبية، التي انتقلت إلى الحبشة في وقت مبكر قبل الميلاد، واستطاعت مع غيرهامن القبائل العربية تأسيس دولة أكسوم، فالحبشية فرع عن اللغة الأم لشعوب الجزيرة العربية، ولكن المسافة بعدت بينها وبين الأصل، وتأثرت بلغات السكان المحليين، فصارت الحبشية كيانا يحمل كثيرا من خصائص الأصل ومفرداته[١٤] فلا تصح أن تكون الحبشية لغة أعجمية بالنسبة الى العربية.

إن اللغات المذكورة تنتمي مع العربية إلى أصل واحد هو اللغة الأم لشعوب الجزيرة العربية، ولكن العربية حافظت على خصائص الأصل، لأنها بقيت في موطن الأصل، أما

---

[١٢] المدخل الى تاريخ اللغات الجزرية: ٣٦-٣٧ واللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام: ٥٨.

[١٣] قواعد اللغة العربية، عوني عبد الرؤوف، واللغة العبرية قواعد ونصوص، رمضان عبد التواب: ٥ وعلم اللغة العام، توفيق شاهين: ٨٧.

[١٤] بين الحبشة والعرب: ٩-١٣ والمدخل الى تاريخ اللغات الجزرية: ٧٠.

اللغات المذكورة فصارت لهجات على الأصل، فالقول بأنها أعجمية بالنسبة الى العربية هو قول مجانب للحقيقة.

إنني عندما أقول إن اللفظة (كذا) هي لفظة عربية، لا أريد بالعربية تلك التسمية التي أُطلقت متأخرة على لغة القوم الذين لزموا أرض العربات في جزيرة العرب، بل أريد بالعربية اللغة التي كانت امتدادا للغة الأم التي تفرعت منها لغات الأقوام الذين تركوا موطن اللغة الأم، وهاجروا الى بلاد الشام والعراق وأفريقيا.

- ٤ -

ومن اللغات التي زعموا أن ألفاظا منها عربت ووقعت في القرآن الكريم اللغة القبطية والبربرية، وتنتمي جميعها إلى مجموعة اللغات الحامية.

فالقبطية هي اللغة المصرية القديمة (دائرة معارف القرن العشرين: ٦١٣:٧) ويذهب كثير من الباحثين الى أن أقواما من شعوب الجزيرة العربية هاجرت الى وادي النيل عن طريق البحر الأحمر وعن طريق سيناء، الذي كان له دور كبير في وصول هذه الأقوام الى وادي النيل منذ زمن بعيد، فأقاموا فيه حضارة ونشروا فيه لغتهم ولعل البليين أو البليميين وكذلك النبط من هؤلاء الاقوام (بعض مظاهر: ٣٩٦).

إن لفظة (بونت) التي وردت في النصوص المصرية القديمة تشير الى النبط وبلادهم فهي تعنى مصدر البخور، والنبط أو الأنباط كانوا تجار البخور مع مصر الفرعونية، فقد كان البخور والطيوب القدمة من بلاد اليمن، ينقلها الأنباط الى عاصمتهم البتراء، ومن هذه المدينة يخرج طريق الى غزة والسويس، ومن غزة يتجه طريق آخر شمالا الى موانئ فينيقيا[١٥]. وورد في نصوص حتشبسوت في العبارة التي يخاطب فيها الإله آمون الملكة حتشبسوت، موضحا فضله في تيسير الطريق أمام بعثتها التجارية الى بونت: أن البونتيين هم الذين يسكنون أرض الاله (تا-نثر)[١٦] ويرى بعض الباحثين أن مدلول التسمية (تا-نثر) يعني الأرض التي يشرق منها الإله، أي الشرق، ويمكن أن يشمل هذا المدلول الجزيرة العربية (المرجع السابق: ٣٩-٤٠).

إن مما لا يمكن إنكاره هجرة أقوام من الساميين الى مصر القديمة، "وأول فوج من الساميين أمكن التحقق من وجوده في مصر، كان في عصر نقادة الثانية في مصر العليا"[١٧]، "ولم تتوقف غزوات الأسيويين الساميين لمصر في العصور التالية ومن أخطر

---

[١٥] التجارة في عصر ما قبل الإسلام، محمد السيد غلاب: ١٩١ (ج ٢ من كتاب دراسات تاريخ الجزيرة العربية).

[١٦] الجزيرة العربية ومناطقها وسكانها في النقوش القديمة في مصر، عبد المنعم عبد الحليم سيد: ٤٢:١.

[١٧] العلاقات المصرية العربية في العصور القديمة، محمد عبد القادر محمد (مصادر تاريخ الجزيرة العربية: ١٤:١).

هذه الغزوات تلك التي حدثت عند نهاية الدولة القديمة، فقد قام الأسيويون الذين يطلق عليهم في النصوص القديمة (ستيو)، بالهجوم على حدود البحر الأحمر، وكان أخطر أولئك الأقوام التي تمكنت من دخول مصر والسيطرة عليها هم الهكسوس وفي الدولة الحديثة استمر سيل الساميين العرب من سيناء والشام يتدفق الى مصر.

والنصوص التاريخية لتحتمس الثالث وامنحتب الثاني وغيرهم مليئة بالشواهد" (المرجع السابق: ١:١٩-٢١).

لقد أقر العلماء العرب والمستشرقون وجود علاقة وثيقة بين اللغة المصرية القديمة وبين لغات شعوب الجزيرة العربية، منهم الدكتور عبد المحسن بكير، وعالم الآثار المصرية أحمد كمال الذي أقر أن اللغة المصرية القديمة واللغة العربية من أصل واحد، وأن الاختلاف الظاهر بينهما ليس الا نتيجة لما يعتري الكلمات من القلب والإبدال[١٨]. ومنهم أدولف إرمان الذي يري أن اللغة المصرية القديمة هي لغة الساميين الذين دخلوا مصر ولكن انفصال هذه اللغة عن العائلة السامية في وقت مبكر، وتأثرها بلغات السكان الأصليين، كل ذلك عمل على توسيع المسافة بين المصرية القديمة وبين اللغات السامية. ومنهم بروكش الذي اعتبر – في قاموسه الهيروغليفي الديموطيقي – اللغة المصرية لغة سامية (المدخل الي تاريخ اللغات الجزرية: ٧٥). وقام بعض الباحثين بدراسة ألفاظ النقوش المصرية القديمة، فأورد طائفة كبيرة منها لها وجود في المعجم العربي[١٩].

وفي ضوء هذا التقديم عن اللغة المصرية القديمة (القبطية) فإن اللفظ إذا كان من ألفاظ اللغة القبطية وله وجود في المعجم العربي، فلا يصح الحكم بعجمته ابتداء حتى تتبين حقيقة أصله من خلال الدراسة، إذ من المحتمل أن يكون اللفظ قد دخل اللغة المصرية القديمة عن طريق المهاجرين، هذا إذا لم نقل إن المصرية القديمة لغة سامية، كما قال بعض الباحثين.

وأما الزنجية فهي لغة نسبت الى جيل من السودان، هم الزنوج، وأحدهم زنجي وزَنجي (اللسان: زنج ٢:٢٩٠) ويراد بالسودان عند القدماء – البلاد المعروبة بالسودان حاليا، وكذلك الحبشة وما جاورها من البلدان، لذلك قال صاحب اللسان: "الحبش جنس من السودان" (نفسه: حبش ٦:٧٨).

إن القدماء لم يميزوا بين اللغة الحبشية والزنجية، ولذلك نسبوا بعض الألفاظ القرآنية الى الحبشية تارة والى الزنجية تارة أخرى، والألفاظ القرآنية التي زعموا أنها معربة عن الزنجية هي: حَصَب، مِنْسأة، الأليم.

---

[١٨] عروبة مصر قبل الإسلام وبعده: ٨٣، والمعلقة العربية الأولى: ١:١١.

[١٩] العلاقات المصرية العربية في العصور القديمة: ٢٢ نقلا عن كتاب (قواعد اللغة المصرية في عصرها الذهبي) للدكتور عبد المحسن بكير.

وأما البربرية فإنها لغة وثيقة الصلة بلغات شعوب الجزيرة، فبلاد البربر كانت ملتقى شعوب الجزيرة العربية على مر العصور، فقد استوطن بلادهم الفينيقيون منذ زمن سحيق، ثم جاءت الموجة العربية الكبرى، التي رافقت الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ثم أعقب ذلك غزو بني هلال هذه البلاد، وانتشارهم في أرجائها في القرن الخامس الهجري.

وقد أجري الباحثون دراسات عن اللغة الليبية القديمة (النوميدية) فتوصلوا الى حقيقة، هي أن هذه اللغة فرع عن اللغة الأم لشعوب الجزيرة العربية، وأنها انفصلت عن الأصل منذ وقت بعيد، وأقاموا الدليل على ذلك من خلال جمع كثير من المفردات المشتركة بين الأصل والفرع[٢٠]، وما زال الباحثون يعتقدون أن حروف الهجاء في الليبية القديمة ترجع الى أصل فينيقي (دائرة المعارف الإسلامية: ٦: ٥٨٠).

والألفاظ التي زعموا أنها معربة عن البربرية واستعملت في القرآن الكريم هي: المُهْل، إناه، آن، آنية، يَصْهَرُ، أبّا، القنطار.

ومن سنن العربية أنها تلجأ الى التغاير بين الحرفين المتماثلين في الكلمة الواحدة، بإبدال أحد الحرفين بحرف لين طويل (واو، ياء، الف) وهذا دأب بعض القبائل العربية منهم بنو تميم وبنو عامر وهذيل (لغة تميم: ١٦٢ وما بعدها) قال ابن جني: "ومن ذلك قول العرب: تسَّيت، من لفظ (س ر ر) وقصَّيت أظافري، وهو من لفظ (قصص) (الخصائص: ٢: ٩٠-٩١) أو تكون المغايرة بإبدال أحد الحرفين بحرف من حروف الذلاقة وهي: اللام والنون والراء والميم، لأنها أقرب الصوامت الى أصوات العلة (الأصوات، كمال بشر: ١٢١) هذا دأب قبائل تميم وقبائل اليمن، يقولون: انتكأ والأصل: اتّكأ، وأنشد صاحب اللسان: حلقت لهازمُه عِزين ورأسه * كالقَرْصِ فُرْطِح من طحين شعيرِ

وبناء على قانون التغاير بين الحرفين المتماثلين في الكلمة الواحدة اشتقوا (قنطر) منه (قطَّر) وفيها معنى تتابع الشيئ شيئا فشيئا حتى يبلغ منتهاه، وفيها معنى الوزن جزافا، فقالوا: قنطر زيد، إذا ملك أربعة آلاف دينار، كأنه من قطار الإبل، ألف يتبعه ألف، يتبعه ألف. وقالوا: قناطير مقنطرة، أي ثلاثة أدوار: دور يتبعه دور، يتبعه دور، فمحصولها اثنا عشر ألف دينار.

وفيه معنى الوزن جزافا، ولذلك لم تتفق العرب على وزن معين للقنطار، لذلك قال صاحب اللسان: "ولا نَجد العرب تعرف وزنه قيل: وزن أربعين أوقية من ذهب، ويقال: ألف مائة دينار، وقيل: مائة وعشرين رطلا، وعن أبي عبيدة ألف ومائتا أوقية، وقيل: سبعون ألف دينار، وهو بلغة بربر ألف مثقال من ذهب أو فضة وقيل: هي جملة كثيرة مجهولة المال وهو بالسريانية ملء مسك ثور ذهبا أو فضة".

وفي ضوء هذا العرض يتبين لنا أن (القنطار) له وجود تأريخي قديم في لغات جزيرة العرب، وهي الأرامية والسريانية والعربية، وله وجود تأريخي قديم في اللغة البربرية،

---

[٢٠] بعض العوامل الحضارية التي وصلت الى مصر من البلاد الشرقية في عصر فجر التاريخ. شفيق علام: ٣٣٣.

وهي فرع عن اللغة الأم لشعوب الجزيرة العربية، كما أثبته بعض الباحثين، وهو مشتق من أصل عليه سمات جزيرة العرب، وبذلك يمكن أن أقرر أن اللفظة من ألفاظ الجزيرة العربية وقد حملها الفينيقيون أو الأراميون الى اللاتينية.

- ٥ -

ومن اللغات التي زعموا أن ألفاظا منها عُرِّبت، ووقعت في القرآن الكريم: اللغة الفارسية واللغة الهندية واللغة الرومية، وتنتمي هذه اللغات الى المجموعة الهندية الأوربية.

أما اللغة الفارسية فقد مرت بمرحلتين مهمتين من حياتها، إحداهما قديمة، وهي مرحلة استخدام اللغة الأرامية لغة رسمية في الدولة الفارسية، في عصر الملك داريوس الأول، وسميت هذه اللغة ب (آرامية الإمبراطورية الفارسية)[٢١]. والمرحلة الثانية حديثة، وهي مرحلة الفارسية الإسلامية، واستعملت الفارسية في هذه المرحلة الحروف العربية، ودخلت فيها ألفاظ واصطلاحات عربية كثيرة (في اللغة الفارسية وآدابها: ٦).

ويمكن القول - بغض النظر عما ذكر في التوراة من كون العيلاميين الذين هم سكان إيران الأصليين من أبناء سام بن نوح - أن علاقة اللغة الفارسية بلغات شعوب الجزيرة العربية هي علاقة ثابتة بسببين، الأول: استعمال الأرامية لغة رسمية في الدولة الفارسية، والثاني: احتكاك الفارسية بالعربية، حتى يمكن إثبات ذلك بالدليل التاريخي المعجمي.

ولألفاظ القرآنية التي زعموا أنها معربة عن الفارسيةهي: الاستبرق، سجيل، كورت، مقاليد، أباريق، بيع، التنور، جهنم، دينار، الرس، زنجبيل، سجين، سرادق، سقر، سلسبيل، سندس، قرطاس، أقفال، كافور، كنز، الياقوت، المرجان، مسك، وردة، هود.

ويجب أن أسجل في هذا الموضع الأمور التالية:

١) أن القرآن قد أحيا ألفاظا من اللغة الأم لشعوب الجزيرة العربية، كانت قد ماتت في استعمال العرب، ولكن بقيت مادتها التي أشتقت منها في معجم العرب، وفي هذا دليل قوي على لن القرآن الكريم من الله تعالى، لعدم قدرة رجل من العرب أن يحيط علما بألفاظ ماتت منذ آلاف السنين.

٢) إن لفظ سجيل جاءت في قوله تعالى: {وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل} (سورة هود: آية ٨٢) وحسب النظام النحوي للغة العربية تكون (من سجيل) صفة لحجارة، فيكون المعنى: (وأمطرنا عليهم حجارة صفتها حجارة وطين)، وهذا المعني ركيك، لا يناسب لغة القرآن البليغة التي تحدت فصحاء العرب وبلغائها.

---

[٢١] الساميون ولغاتهم: ١١١ وقواعد اللغة الفارسية: ٥.

٣) أن لفظة سجيل وردت في سياق الحديث عن قوم لوط الذين كانوا في سدوم و أدوما وغيرهما من مناطق الأراميين، وهذا يعني أن القرآن الكريم استعمل اللفظة كما كانت مستعملة في لغة أهل سدوم.

٤) إن الفراء قال في تفسير الآية المذكورة: "من سجيل" أي "من طين قد طبخ، حتى صار بمنزلة الأرحاء" (معاني القرآن: ٢:٢٤) وأكرم به قول! فإن هذه الحجارة وصفتها أنها طبخت بالنار، حتى صارت صلبة شديدة الصلابة.

٥) إن الأصل الذي أشتقت منه سجيل هو: مادة سجر وسجل وهاتان المادتان يعدان من الناحية التاريخية من ألفاظ اللغة الأم لشعوب الجزيرة العربية[٢٢] ومعناهما: الملأ والتتابع والانتظام وما طبخ بالنار والشدة والصلابة والطين الحرف سجره، يسجره سجرا وسجورا، وسجره: ملأه. وكان علي ابن أبي طالب (عليه السلام) يقول: "والبحر السجور"، المسجور بالنار أي المملوء بالنار. وشعر مسجور ومنسجر: مسترسل، ولؤلؤ مسجور: لؤلؤ منظوم مسترسل. والساجور: القلادة أو الخشبة توضع في عنق الكلب (اللسان: سجر: ٤:٣٤٥ وما بعدها).

والسَّجْل: الدلو المملوءة ماء، والسَّجْل: اتصال الشيء وتتابعه بانتظام، وفي حديث ابن مسعود: افتتح سورة النساء فسَجَلها، أي قرأها قراءم متصلة متتابعة، وسَجَل الماء صبه صبا متصلا (نفسه: سجل: ١١:٣٢٥ وما بعدها).

أما اللغة الهندية فإن السنسكريتية تُعَدُ أقدم لغة فيها، وقد لاحظ كثير من الدارسين وجود ألفاظ كثيرة مشتركة بينها وبين لغات شعوب الجزيرة العربية. والألفاظ القرآنية التي ذكروا أنها معربة من الهندية هي: ابلعي، وطوبى، والسندس.

أما اللغة الرومية فالمقصود بها عندهم اللغة اللاتينية، وقد أكد الدارسون وجود صلات وثيقة بين اللاتينية ولغات شعوب الجزيرة العربية، وهذه الصلات حصلت بطرق مختلفة منها اتصال اللاتينية بالأرامية ولهجاتها في بلاد الشام زمنا طويلا، ومنها اتصال اللاتينية بالفينيقية من خلال الاتصال التجاري والحروب التي وصل من خلالها الفينيقيون الى روما، ومن خلال المستعمرات الفينيقية أيضا.

وقد أكد الدارسون من العرب وغيرهم بأن الأبجدية الفينيقية قد انتقلت الى اليونان ولعل ظهور الكتابة اليونانية قد تم فوق جزر بحر ايجه التي كانت خاضعة خضوعا مباشرا لتأثير الحضارة الفينيقية (فقه اللغة وتاريخ الكتابة: ٢٥٠) فإذا صح أن اليونان قد أخذوا أبجديتهم عن الفينيقيين، فمن الأولى أن يكونوا قد أخذوا عن الفينيقيين وغيرهم من شعوب الجزيرة العربية ألفاظا استعملوها في لغتهم.

والألفاظ القرآنية التي ذكروا أنها معربة عن الرومية هي: صِرْهُنَّ، والفِردَوس، والقِسْط والقِسْطَاس وطَفِقَا والرَّقيم، والصِّراط والقِنْطَار وعَدَن.

---

[٢٢] فرنكل: ١١٤، ٢٥٢ وأورد السيوطي (السجل) ضمن الألفاظ الحبشية (المنرجلي: ٥٠).

- ٦ -

من اللغات الأعجمية التي زعموا أن ألفاظا عربت منها ووقعت في القرآن الكريم: اللغة التركية، وأكد الدارسون أن التركية دخلتها ألفاظ كثيرة من لغات شعوب الجزيرة العربية، إضافة الى السنسكريتية والصينية، كما أن إحدى لهجات الأرامية - وهي الطورانية - كانت مستعملة في المنطقة الشرقية، ويضاف الى ذلك كله تأثير أرامية الإمبراطورية الفارسية وآرامية الأشوريين في اللغة التركية.

وذكر الجواليقي والسيوطي أن الغَسَّاق هو المنتن باللغة التركية (المعرب: ٢٨٣). ولم يقل أحد من اللغويين أن الغساق أعجمي معرب، وقد احتفظ المعجم العربي بمادة غسق و عسق، وفيها معنى الردئ والمكروه والخبيث وانصباب السائل الخبيث. وهذه المادة في المعجم العربي تجمع كل شيء مكروه. ف(غسقت) عينه، تغسق غَسْقا وغَسَقَانا: انصبت بالعمش والماء الخبيث. وغسق الجرح غسقا وغسقانا: سال ماء أصفر خبيث. وكل منتن بارد خبيث فهو (غساق). وسموا ما يسيل من الجلد من صديد وقيح (غساقا). وإذا جاء الليل بظلامه، وظنوا فيه الشر والمكروه، قالوا: أغسق الليل، وسموا الليل إذا أظلم (غاسقا)، وسموا القمر إذا كسف (غاسقا)، لأنهم ظنوا وقوع الشر بسببه.

والعسق بالعين المهملة: الرديء، والعسق: الظلمة كالغسق، والعسق: الشراب الرديء (اللسان: عسق، غسق). وإذا كان في التركية لفظ الغساق فهو من إحدى لغات شعوب الجزيرة العربية.

خاتمة البحث

إن اللغة العربية ليست بدعا من اللغات، وهي تشترك مع اللغات الأخر في التأثر والتأثير، فكما أن العربية قد استعارت ألفاظا من لغات أعجمية، فإن ألفاظا قد هاجرت منها إلى اللغات الأعجمية، ولكن لم يثبت عندي بالدراسة التاريخية المعجمية وجود ألفاظ أعجمية في القرآن الكريم.

وفي خاتمة هذا البحث أوصى بما يلي:

١) أوصي بأن يَعُدَّ الباحثون العربية امتدادا للغة الأم في الجزيرة العربية، وأن لا يعتمدوا على النصوص المكتوبة مقياسا في الحكم عليها.

٢) أوصي بأن يجعل الباحثون الألفاظ المشتركة الموجودة في العربية وفي إحدى اللغات التالية: الأرامية، السريانية، النبطية، العبرية، الحبشية، ألفاظا من تراث لغات شعوب الجزيرة، وأن لا يجعلوها أعجمية معربة، كماذهب الى ذلك القدماء من اللغويين وغيرهم.

٣) أوصي بإعادة النظر في جميع الأعجمي المعرب الذي ذكرته المعاجم العربية، سواء أكانت تلك المعاجم مصنفة في الأعجمي المعرب، أم كانت معاجم عامة مثل الصحاح

ولسان العرب وغيرهما، وذلك عن طريق دراسة كل لفظة – قالوا إنها أعجمية معربة – دراسة تاريخية معجمية، وفق المقياس الذي اعتمدته في هذا البحث.

٤) أوصي بتأليف لجنة من العلماء المتخصصين، تأخذ على عاتقها إصدار معجم عربي يعتمد جمع المواد التي تشترل في أصل واحد وتحمل معاني ذلك الأصل، أو جزءا منها، أو فيها تخصيص للمعنى العام الذي يدل عليه الأصل أو فيها دلالة الضد، مثال: (سرر) (سرب) (سرج) (سرح) (سرد) (سرط) الخ، مع إدراج المواد التي تنشأ عن إبدال حرف بحرف مثل (سرج وشرج) و(سرح وشرح) و(سرط وصرط وشرط) و(سرم وشرم وصرم) ونحو ذلك.

٥) أوصي بدراسة ألفاظ المعاجم العربية دراسة تاريخية، وذلك بالبحث عن اللفظة في إحدى لغات شعوب الجزيرة العربية، وبيان دلالتها على معان لها علاقة ببيئة تلك الشعوب. وفي هذا الصدد يكون من الأفضل دراسة النصوص المقدسة المكتوبة بالأرامية أو السريانية أو العبرية أو الحبشية، وذكر المعنى الذي تدل عليه الألفاظ في تلك النصوص ثم ذكر ما يقابل كل لفظ منها في المعجم العربي مع ذكر المعنى المستعمل في المعجم العربي.